

## تمظهرات الأفعال الكلامية في الإرث البلاغي العربي

*Manifestations of verbal verbs in the heritage of Arabic rhetoric.*

د. ياسين سرايعة

جامعة محمد الشريف مساعديّة - سوق أهراس (الجزائر)

Seraiaia\_yassine@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/11/21 تاريخ النشر: 2022/03/15

## الملخص:

إنّ الحديث عن التداولية باعتبارها منهجا لسانيا معاصرا لا يكتمل إلاّ بالعودة إلى التراث العربي القديم، والوقوف تحديدا عند الممارسات الأولى لهذا المنهج الذي تمتد جذوره الأولى إلى أعمال فلاسفة اليونان.

ومما لاشك فيه أن العودة إلى تراثنا القديم، والحفر في ثناياه سيكشف لنا عن الجهود الكبيرة التي بذلها علماؤنا البلاغيون العرب في سبيل رصد الكثير من الظواهر الخطابية التواصلية.

وبما أن البلاغة كما يرى ليتش Litch ذات محتوى دلالي، فقد بحثت في ظاهرة الأفعال الكلامية باعتبارها مبحثا من مباحث التداولية في تراثنا العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء، ودرست في باب المعاني كثير من الصيغ التي تدل على القوة الإنجازية التي يريد المتكلم تضمينها كلامه كالتقرير والاستفهام والتمني والإخبار والنفي... نزولا عند قاعدة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، وقد اشتغل ببحث هذه الظواهر عدد كبير من البلاغيين العرب.

نتطلع من وراء هذه الرؤية الكشف في هذه الورقة البحثية عن مبحث الأفعال الكلامية / نظرية الخبر والإنشاء التي تعد النواة المركز في التراث البلاغي عند كوكبة من العلماء العرب القدامى نحو: الجاحظ (255هـ)، ابن سنان الخفاجي (466هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (471هـ)، والسكاكي (626هـ)،.....

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، الخبر، الإنشاء، الفعل القول، الفعل الإنجازي،

**Abstract:**

Talking about pragmatics, as a modern approach in linguistics, can not be truly meaning ful without tracing back to our ancient arab heritage; stading specifically at the early practices of this approach, which has its roots (orogins) in the works of greek philosophers.

Invers tignating deeply our ancient arab heritage will reveal the great contribution of arab rhotorical scholars in order to cover many communicative rtetorical phenomena.

Since pragmatics has a semantic content, as Litch sees, « action verbal » constitute one of its focal topics in our ancient Arab heritage within the theory of discourse and composition pragmatics studied, at the semantic level, many stractures that show or reflect the speaker s potential in accomplishing his intended meanings, such as reporting, interrogation negations, wish, reaching the principale of « speech fitness to the context require ments. Many rhetorical arab scholars were concerned (intereced) with such phenomena.

In this researched paper, we try to shed light on action verbs ..... with is considered, in the rhetorical heritage, as the corefocus of host of ancient arabe scholars towards : A-Jaheth (255AH), Ibn sinan Al-khafaji (466AH) , and Abdul-Quhir Al-Jarja-ni (471AH), Al Sakaki (626AH).... .

**key words:** pragmatics, verbal verbs, news, creation, verbal verb, action act,

مقدمة:

شكلت نظرية الأفعال الكلامية أهمية قصوى في المباحث التداولية، و تعدّ نظرية أوستين **John Langshaw Austin** أول محاولة تجاوزت الطرح الأرسطي للقول الخطابي والدراسات الخطابية، فأعادت للغة الطبيعية منطقتها في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة.

و هكذا لم يفكر أوستين في الابتعاد عن هذا الإرث اللغوي الإغريقي الذي ظل ينهل من فلسفته و تصوراته و مفاهيم بلاغية كلاسيكية.

و شارك أوستين فلاسفة آخرون ينتمون إلى المدرسة نفسها "أوكسفورد" و منهم طالبه (سيرل John Rogers Searle) الذي علّق على فرضية (فينتجشتاين Ludwig Josef Johann Wittgenstein) التي تؤكد على أنّ المعنى يتحدّد في استعمال الكلمة و توظيفها في سياق معين، ذلك أن عملية التلفظ تعني الممارسة أو تحويل الفعل إلى قول.<sup>(1)</sup>

و بهذا استطاع أوستين التخلص من القيم اللغوية للوحدات اللسانية في ذاتها و تحويل الاهتمام إلى قيمة ديناميّتها؛ أي أن عملية التواصل تتم عن طريق تحويل الوحدات القضوية إلى أفعال كلامية، و من ثمة عدّ الفعل اللغوي من منظور (أوستين) أصغر وحدة في عملية التواصل. فصار النص أو الخطاب عملية معقدة هدفه إنشاء عملية تواصل معقدة مع السامع أو المتكلم.<sup>(2)</sup>

و ميّز أوستين بين شكلين من الأفعال اللغوية:

1- أفعال تستعمل لوصف العالم و الوقائع: تسمى الأفعال الوصفية و يحكم عليها بالصدق أو الكذب و هي أفعال خبرية.

2- أفعال لا تصف الواقع و لا تقرره ولا تخضع لمعيار الصدق و الكذب و تسمى بالأفعال الإنشائية التي تخرج إلى أفعال أمرية، ووعدية، وغيرها... و غايتها تحويل الفعل اللغوي إلى فعل إنجازي.<sup>(3)</sup> يعني أن صاحب الفعل اللغوي يتوق أن يكون لفعله وقع تأثيري في المُخاطَب.<sup>(4)</sup>

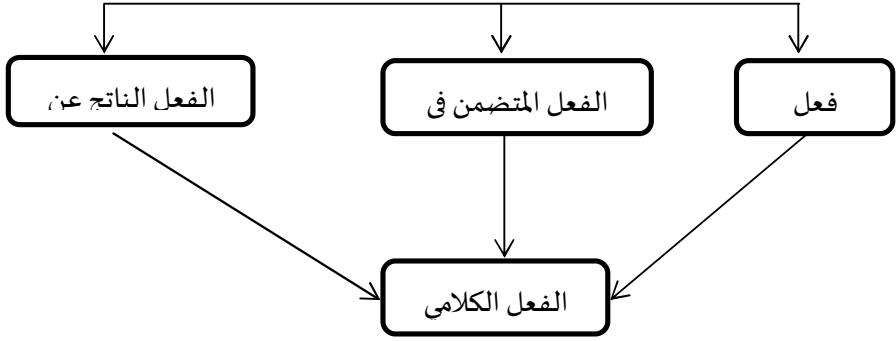
و قسم (أوستين) الفعل الكلامي التكاملي إلى ثلاثة أفعال و هي:

1- فعل القول (Acte locutoire): أن تكون الألفاظ سليمة تركيبيا و دلاليا في جملة مفيدة.

2- الفعل المتضمن في القول المقصود بالقول (Acte d'illoctoire): هو الفعل الإنجازي الحقيقي، ينجز بقول ما أو كما سماها أوستين بأفعال القول الإنجازية المتمثلة في السؤال، والجواب، والوعد، والأمر، ...

3- الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire): و هو فعل تأثيري ناتج عن خلاصة تحويل الفعل إلى قول ثم يصحبه فعل متضمن في القول (القوة الإنجازية). فقد يكون فعل ثالث مرتبطا

بالمتكلم غايته التأثير في المتلقي كالمشاعر، والأفكار، و يكون غرضه (الإرشاد، والتضليل، والتأكيد، والتثبيط،...) (5) و نمثل لهذا الأفعال كالاتي:



حيث يكون كلّ فعل كلامي مبنيًا على مبدأ القصدية، و ههنا تتمثل أهمية سيرل الذي عمل على الربط بين العبارة اللغوية و مقاصد المتكلمين، فقد عدّ الغرض المتضمن في القول عنصراً أساسياً من مكونات الفعل الكلامي.

و قسم (أوستين) الأفعال اللغوية إلى: (6)

1- أفعال الحكم / Verdictives: منها (يعتذر، يحكم على، يبرئ،...) يعني صدور حكم من هيئة رسمية.

2- أفعال التعهد / Comissive: منها (يعتذر، يؤيد، ...) والمقصود بها إعطاء الوعد و التكفل.

3- أفعال السلوك / Behabitives: منها (يعتذر، يشكر، ...) وتعبّر عن السلوك.

4- أفعال الإيضاح / Epositives: نحو (أثبت، أنكر، ...) والمراد بها للمحاجة.

5- أفعال الممارسة / Exercitives: منها (انتخب، عين، نصح، ...) تعني التعيين و إصدار الأحكام.

أمّا طالبه سيرل فلم يكن راضياً تمام الرضى على تقسيم أستاذه فأعاد تقسيم الأفعال اللغوية على الشكل الآتي: (7)

- 1- الإخباريات / Assertives: غرضها التعهد للمستمع بحقيقة الخبر أي الصدق أو الكذب.
  - 2- التوجيهيات / Directives: توجيه السامع تناسبيا مع المحتوى الخبري مثل (أمر، نهي، طلب).
  - 3- الإلزاميات / Comissives: مثل (الندور والمواعيد) أي تعهد المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل بعد حصول الغرض.
  - 4- التعبيريات / Expressives: وهي (الاعتذار، التشكر، التهاني) حيث يتغير شرط الصدق مع تغير نمط التعبير.
  - 5- الإعلانيات / Déclaratives: إحداث تغيير في العالم وتمثيله كأنه تغير مثل (الزواج، الحرب،...) ويقسم سيرل الأفعال اللغوية إلى أفعال لغوية إنجازية مباشرة وأفعال غير لغوية إنجازية غير مباشرة.
- ففي القسم الأول يطابق تلفظ المتكلم مقاصده، أما في القسم الثاني فيخالف الفعل الإنجازي غير المباشر ما يعنيه المتكلم.<sup>(8)</sup>

إنّ الذي لديه علاقة بهذا البحث يدرك أهمية هذه التقسيمات وتجلياتها عند فلاسفة أكسفورد من ناحية، وتماثلها مع الميراث اللغوي البلاغي عند العرب خاصة في أضرب الخبر والإنشاء من ناحية أخرى.

## 2- تمظهرات الأفعال اللغوية في الميراث البلاغي العربي:

يجمع الكثير من الدارسين المحدثين المتشبعين بالموروث الثقافي العربي أنّه قد كان للعلماء العرب القدامى نظرات ثاقبة، وإسهامات لا تقل شأنًا عن إسهامات الغرب، ولا سيما علماء البلاغة الذين عَنّوا بأحوال المتخاطبين ومقاصدهم، وسياق التخاطب، وأغراض الخطاب.

وقد توصل الباحثون العرب إلى أن ما يطلق عليه بـ "نظرية الأفعال الكلامية" التي تعدّ من أهم مباحث التداولية عند الغربيين، حيث درسها البلاغيون ضمن باب كبير من أبواب البلاغة العربية ألا وهو علم المعاني وتحديدًا ضمن ما يطلق عليه بنظرية "الخبر والإنشاء".<sup>(9)</sup>

ولكن الغرب قلّمَا يعترفون للعرب بأفضلية السابق وهذا ما يؤكّده أحد الدارسين في قوله "إن علماء النحو العربي والبلاغة العربية أدركوا منذ قرون شيئًا من نظرية الحدث الكلامي المنسوبة إلى أوستين، حيث قسّموا الجملة العربية إلى جملة خبرية وجملة إنشائية، ووضعوا لكل

منها وصفا نحويا وبلاغيا، لكن الغربيين - كعادتهم - قلما يعترفون للعرب والمسلمين بفضل هذا السبق العلمي".<sup>(10)</sup>

ودرج اللغويون العرب على تقسيم الكلام إلى ضربين: خبري وإنشائي ويتجلى ذلك في قوله الخطيب القزويني (ت 793 هـ) إن "الكلام إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو يكون لها خارج فالأول الخبر والثاني الإنشاء".<sup>(11)</sup>

يفهم من القول السابق أن الخبر هو كل كلام قد يحتمل الصدق أو الكذب، والمراد بالصدق مدى مطابقته للواقع، ويراد بالكذب عدم مطابقته للواقع، أما باب الإنشاء فيتعلق بإنجاز الأفعال وهذا الصنف لا يخضع لشرط الصدق أو الكذب.

وأشار الدارسون إلى أن مفهوم الإنشاء كان يعبر عنه بالطلب<sup>(12)</sup> "فكُنْتُ علم المعاني منذ الخطيب القزويني قد صَنَّفَتْ تحت "الإنشاء" كل ما لم يكن خبرا من الجمل المفيدة، فصار الباب الذي يبحث فيه أهل المعاني في تلك الجمل يسمى "باب الإنشاء" و فعل مثل ذلك المناطقة في مؤلفاتهم".<sup>(13)</sup>

وتقسيم العرب فعل المنجز القولي إلى خبر وإنشاء ينسجم مع تصورات وتوجهات جون سيرل الذي قسّم بدوره الكلام إلى خبر وإنشاء وعبر عن ذلك بقوله " ... لأن النفثة السمعية التي تصدر من فهي يمكن أن تكون حكما أو سؤالاً أو تفسيراً أو أمراً أو تحذيراً أو طلباً ... وهكذا، أو عددا كبيرا جدا من الاحتمالات الأخرى، فضلا عن ذلك فإن ما يصدر من فهي يمكن أن يكون صادقا أو زائفا أو مملا، أو مضجرا أو مثيرا أو أصيلا، أو غيبيا أو فقط غير ذي صلة".<sup>(14)</sup> فالخبر لا ينأى عن معيار الصدق أو الكذب، فما كان صادقا لذاته لا يحتمل الكذب والشأن نفسه بالنسبة للخبر الكاذب فلا يمكن أن يحتمل الصدق مثل أقوال البدهيات، يعني أن الكلام الخبري يحتمل الصدق والكذب على سبيل الاحتمال أو العطف بينهما.

إن الخبر قول يلزمه الصدق أو الكذب، فالصدق والكذب من لزوم الخبر كما يقول السكاكي ولا يدخلان في حدّه، ولعل الخلاف الذي يدخل بين الصدق والكذب، والتصديق والتكذيب، إنّ الأولين يتعلقان بالخبر، والآخرين يتعلقان بالمتلقي، ولنتبين ذلك حريّا بنا نقف مع عالمين بلاغيين مثلاً أوجه شائكة في دراسة الفعل القولي العربي بلاغيا ونخص دراسة الأفعال الكلامية / الخبر والإنشاء وهما:

## 1- عبد القاهر الجرجاني (ت 471) ومعايير الصدق والكذب :

في كتابه دلائل الإعجاز أفرد حيزًا كبيرًا للحديث عن علاقة اللفظ بالمعنى، تناول فيه مسألة الحديث عن البعد المنطقي للخبر، وأقر أنّ "للخبر ولجميع الكلام معان ينشئها المتكلم / الإنسان في نفسه"،<sup>(15)</sup> أما مدلول اللفظ فغير مرتبط بوجود المعنى أو عدمه، لكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه يعبر عن حقيقة الخبر،<sup>(16)</sup> وهذا يبيّن كما ذُكر عند بعض البلاغيين الآخرين ارتباط الخبر بمعناه وارتباطهما بمعياري الصدق والكذب.

ويرى الجرجاني أن العبارة الواحدة تنتشعب إلى أكثر من عبارة، بفعل اختلاف حال السامع ومراعاة المتكلم لتلك الحال، ويتجلى هذا في قراءتنا لهذه الجملة.<sup>(17)</sup>

1- عبد الله قائم ، 2- إن عبد الله قائم ، 3- إن عبد الله لقائم .

ففي 1: اخبار عن قيامه ، وفي 2: جواب عن سؤال سائل، وفي 3: ردّ على إنكار.<sup>(18)</sup>

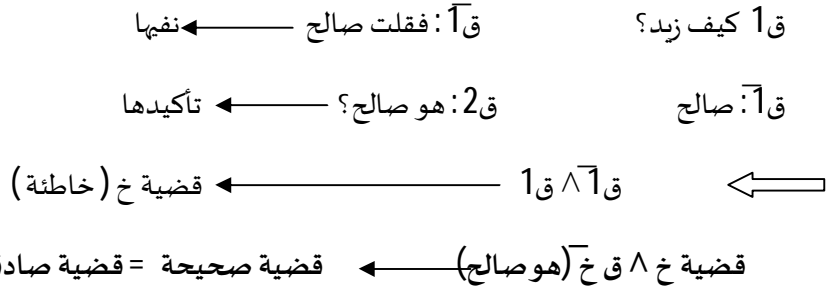
فقدت هذه الفروق الإخبارية إلى تقسيم الخبر لدى البلاغيين اللاحقين إلى ثلاثة أضرب: ابتدائي وطلبي وإنكاري، وهنا يصبح تأكيد تجاوز الجرجاني للخبر بحروف وصيغ التأكيد ليتحقق في القوة الإنجازية، وكل قوة إنجازية تتحقق بتركيب موافق لها ، كما تتجاوز حدود تأكيد الخبر الخالي الذهن إلى حالات تداولية كثيرة وهذه الحالات تتجاوز حدود إثبات للخبر.<sup>(19)</sup>

وتتضح القوة الإنجازية من الكلام وموقعها من الفعل التراتبي للفعل الكلامي، حيث تتحدد قيمة الفعل الإنجازي في التأثير في المتلقي وحمله على إنجاز الفعل إنطلاقاً من الأشكال المختلفة في التعبير، وهنا يحدث التقارب الكبير بين أوستين في تحديد نظريات الفعل الكلامي واشتراط الفعل الإنجازي للبرهنة على قوة الفعل ونظرية نظم الكلام عند الجرجاني التي تتجاوز حدود الأسلوبية (الزخرفة والصور) إلى الإنجاز (الإقناع) على سبيل الاحتمال والاعتقاد.<sup>(20)</sup>

وقد شدّد سيرل على أن من الشروط التي تحدّد الفعل الكلامي الدرجة في القوة والتأكيد من خلال مختلف الأنماط التي يتمظهر فيها الكلام ، ويتواشج فيها النحو والدلالة .

ويوضح التصور الآتي المقصود بالفعل الكلامي والفعل الإنجازي عند عبد القاهر الجرجاني: يقول: "فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه، حاولت ما لا يصح في حقل ، ولا يقع في وهم ومن أجل ذلك امتنع أن لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر ومقدّر، وكان لفظك به، إذا أنت لم ترد ذلك ، وصوتا تصوته سواء."<sup>(21)</sup>

ويحضر الفعل الكلامي التأثيري عند الجرجاني في قوله: "كيف زيد"، فقلت: صالح، هل يكون لقولك صالح في نفسك من دون أن تريد "هو صالح"؟ أم هل يعقل السامع شيئاً إن لم يعتقد ذلك؟<sup>(22)</sup> فالخبر هنا لا يتصور إلا بشيئين يكون أحدهما منفيًا والآخر يكون منفيًا عنه، وتأخذ القضية الاستدلالية للفعل القولي قيمتها من النفي والتأكيد على سبيل الفعل التأثيري في المتلقي ونمثل لذلك كالاتي:



يتبين هنا كيف استطاع المخبر تحويل الفعل الكلامي من فعل قولي إلى فعل تأثيري متضمن في القول (سيرل)، لذلك يؤكد الجرجاني أن "الخبر" معنى لا يتصور إلا بشيئين، يكون أحدهما مثبتاً على سبيل القيد والآخر مثبتاً له / البرهان، ويكون أحدهما منفيًا (تأكيد القضية بالعكس النقيض لها) يتضمنها فعل القول ويكون الآخر منفيًا عنه: (تأكيد صحة النفي / نفي صحته): يعني أنه لا يتصور مثبت من غير مثبت له، ومنفي من دون منفي عنه، ويقود هذا إلى تباين الفعل التأثيري بحسب منجزه ومتلقيه، ويترتب عليه تفاوت في درجات القول أو ما سماه سيرل بدرجة الشدة للغرض "المتضمن في القول"، فقد تتشابه جملتان في البناء اللغوي لكن التلفظ بهما وارتفاع الصوت وانخفاضه والتركيز على إحدى مقاطعه يحول الفعل الكلامي من ساكن وعام إلى متحرك ومخصص في الأداء، وبالتالي التأثير في المتلقي، وهذا التفاضل في الأداء يقتضيه الموقف / السياق. ويوافق هذا درجة الشدة عند سيرل وما سماه العرب "حروف المعاني" التي تثير العربية بأساليب وفيرة ومتعددة، وتمدّها بطاقة تعبيرية هائلة، فكل حرف سواء "لعل" أو "رب" أو "ليت" أو "هل" تخرج بالفعل الكلامي إلى دلالات يقتضيهما المتكلم والسياق وشأن الموضوع.<sup>(23)</sup>

وتتفاوت درجة الشدة التي تحدث عنها سيرل من متحدث إلى آخر وتمثل درجة القوة في الفعل الإنجازي في اختيار المادة اللغوية التي تعبر عن هذه القوة؛ فالثناء أقوى من المدح، والسب أقوى من الشتيم ...



كما ميّز عبد القاهر الجرجاني بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة التي تحدث عنها سيرل، فقد حدّد الجرجاني نظير ما ذكره سيرل بأنّها "ضرب أن تصل منه إلى الفرض بدلالة اللفظ وحده"، و يظهر هذا عند الجرجاني فإذا قصدت أن تخبر عن "زيد" مثلاً بالخروج على الحقيقة: فقلت "خرج زيد" وبالانطلاق عن "عمرو" فقلت "عمرو منطلق".<sup>(24)</sup>

أما الفعل الإنجازي غير المباشر فيستحضره الجرجاني في قوله "وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض".<sup>(25)</sup>

والدلالة الثانية / غير المباشرة تحدث عندما يتحول الفعل الكلامي إلى فعل إنجازي والفعل الإنجازي إلى فعل تأثيري، ويحدث هذا عندما يتم التحويل من الجملة العميقة الخاضعة للقانون اللغوي العام إلى أفعال أخرى محوّلة مشتقة من الفعل الكلامي إلى فعل البنية السطحية محوّلٍ إلى أفعال غير مباشرة يتم تحويلها بواسطة النفي أو الإثبات أو الاستفهام، ... أي محوّلة من أسلوب تقريرى إلى أسلوب إنشائي لا يروم الصدق ولا الكذب. وتعود أهمية التفريق بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة إلى العالم سيرل وتسمى أيضاً بالأفعال الحرفية وغير الحرفية Primary و Secondary أو الثانوية والأولية .

فالأفعال الإنجازية عنده هي التي تطابق قوّتها الإنجازية مقصد المتكلم، والأفعال الإنجازية غير المباشرة هي التي تخالف قوتها الإنجازية مقصد المتكلم، وقوته الإنجازية الحرفية تخالف مراد المتكلم.<sup>(26)</sup>

وهذا ما ذكره الجرجاني في باب شأن الكناية والاستعارة والتمثيل، ونفهم من هذا أن الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة (سيرل) تتمظهر في (الخبر وضروبه وأساليب الإنشاء) لدى علماء البلاغة وغيرهم من العرب القدماء.

إن هذا التحويل يحضر كقوة إنجازية للفعل الكلامي في الأساليب الإنشائية المحوّلة من الأفعال العميقة إلى الأفعال السطحية / الإنجازية عند عبد القاهر الجرجاني متمثلة في أساليب النفي والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف ... وغيرها .

2- أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) وملزمات الفعل الإنجازي:

كانت الأبحاث التي تركها السكاكي أرفع شأنًا لكثير من الدارسين خاصة تلك القضايا التي طرقها في عمله "مفتاح العلوم" فحتى من الشروح والحواشي التي ألفت حوله ما هي إلا تلخيصا له على نحو ما فعله القزويني والتفتازاني وغيرها.

وإذا ما عدنا لأصل المسألة التي نبحث فيها والمتعلقة بتمظهرات نظرية الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب قديما المتجلية في مسألتي الخبر والإنشاء، وإذا لم يهتم الجرجاني بمبدأ الطلب لذاته فكاد السكاكي أن يشد المنهج نفسه على أن "الأصل في التركيب هو الخبر فتراجع ولاحظ أن تعيين ما هو أصل له ليس له سابق الاعتبار وإنما السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان "الخبر والطلب"<sup>(27)</sup>.

إنّ تتبع الأفعال الكلامية عند السكاكي تندرج ضمن علم المعاني، حيث يرى أن مقتضى الحال عند المتكلم يتفاوت "وهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان ... يحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"<sup>(28)</sup>.

ويرى أن مرجع الخبرة إنّما حكمه يعود إلى احتمال الصدق والكذب أي إلى حكم المخبر الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم ... والسبب في كون الخبر محتمل للصدق والكذب فهو إمكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما.<sup>(29)</sup> ودقق السكاكي في أمرين:

1- الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب في الخبر: هو الحكم الذي يكون من المتكلم المخبر بمفهوم لمفهوم كالإثبات أو النفي.

2- إن مرجع الصدق والكذب يتحدّد بمطابقة ذلك الحكم للواقع أو عدم مطابقته له.<sup>(30)</sup>

يتجلى معيار الصدق عند السكاكي عندما تتحقق الفائدة عند المخاطب والمخاطب منه، وتحقيق استفادة المخاطب من ذلك الحكم، ويسميه "فائدة الخبر"، عندما تعلم المخاطب بفائدة كقولك "أنهيت دراستك" فالفائدة متحققة من الثانية إلى الأولى وغير متحققة من الأولى إلى الثانية. لأن المخاطب أنهى دراسته وهو يعلم ذلك لكن عندما تصل الفائدة إلى الشخص المتلقي فتحقق الفائدة فائدة الصدق في الخبر.

ويرجع معيار الصدق والكذب -كما ذكر سابقا- إلى مدى مطابقة الكلام للواقع وهو المتعارف عليه بين الجمهور

ومن ناحية أخرى قيّد السكاكي صحة الطلب بشرطين اثنين:

1- الطلب من غير تصور إجمالاً أو تفصيلاً لا يصح.

2- يستدعي مطلوباً لا يكون حاصله وقت الطلب.

فالشرط الأول لصحة الطلب يجب أن يكون المعنى منطقياً مطابقاً للمعنى اللغوي.

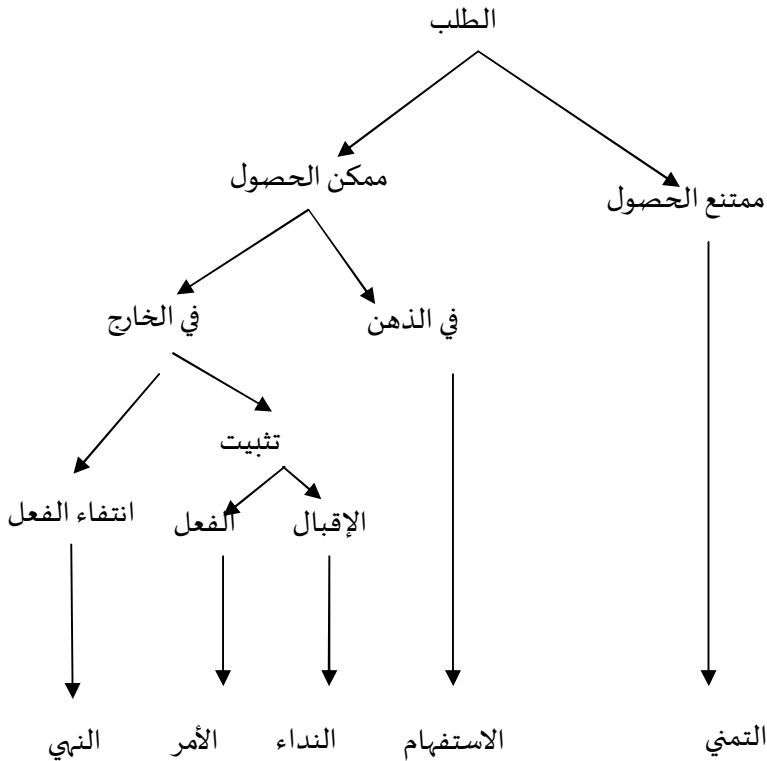
كما قسم الطلب إلى قسمين: (31)

- قسم يكون لطلب حصوله في الذهن ← يتمثل في الاستفهام.

- قسم لحصول الطلب في الخارج ← يتمثل في الأمر والنهي والنداء.

ففي القسم الأول "الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب له أن يحصل في الخارج مطابق" (32).

وقد وضّح خالد ميلاد الطلب عند السكاكي كمايلي:



إن الغرض الإنجازي من كل هذه التقسيمات هو تبيين الأفعال اللغوية التي لها تأثير في المتكلم ودفعه ليفعل شيئاً أو يخبر عن شيء، وقد ذكر بعضهم أن علماءنا العرب كانوا على وعي بأن مقصد المتكلم الذي تعبر عنه هذه الأفعال هو الذي يحدّد الطريقة التي يتحدث بها، ويتغير ميزان القوة أو الضعف تبعاً لتغير الموقف، " فحسن الكلام تحليّه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة".<sup>(33)</sup>

فالطلب غرض أساسي من أغراض المتكلم... لكنه يتفاوت شدة ولينا، فقد يكون أمراً على سبيل الاستعلاء يوجب الطاعة، وقد يكون التماساً بين متساويين في المنزلة، وقد يكون دعاء من الأدنى إلى الأعلى.<sup>(34)</sup>

وبالتالي فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي تتمثل في اختيار المادة اللغوية التي تعبر عن هذه القوة سواء في الثناء أو في المدح أو في الذم....

ويتوقف نجاح الفعل الإيجازي لشخصين على فائدة التكلم بينهما، وهناك ربح وخسارة قولية مشتركة، ويمثل تبادلها الكلامي نشاطاً اجتماعياً منجزاً.<sup>(35)</sup> يطابق ما ذكره السكاكي مع ما ذهب إليه سيرل في عده الأفعال المنجزة والغرض منها يتمثل في حملها لقوى إنجازية مقصودة.

#### الخلاصة:

إن تمظهرات الأفعال الكلامية في الإرث البلاغي العربي مرت من ضربي الخبر والإنشاء، وقد بنيت جهود العلماء العرب القدامى على أسس أصولية ومنطقية وعقلية ولسانية واستعمالية محضة، وإذا أنعمنا النظر ندرك أن المقاربتين العربية والغربية متكافئتان، وأن قراءتنا لبعض قضايا حضور الأفعال الكلامية لدى الجرجاني والسكاكي لا يستثني حضورها لدى البلاغيين العرب القدامى الآخرين نحو (الجاحظ، وأبو هلال العسكري، وابن طباطبا، وحازم القرطاجني...) ولا يعني ممارسة إسقاطية لتصورات فلاسفة أكسفور على التراث البلاغي العربي، فإذا كان هدف القدامى الكشف عن دينامية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنص النثري العربي القديم فإن هدف أوستين وسيرل هو دراسة اللغة الاستعمالية المتداولة والدائرة في المخاطبات اليومية.

وتبقى مسألة التراث العربي واستنطاقه تمثل أهمية لا نظير لها لدى الباحث المعاصر ذلك أن التراث كثر مدفون إنه ثروة محجوبة، وهو ككل الثروات موضع تنافس ومحل صراع بل احتكار وتأويل، بل احتكار وتملك، لا تملك المعاني وحدها بل حتى تملك النصوص.<sup>(36)</sup>

والسؤال الذي يبقى يلازمنا دائما : من يقرأ الآخر: نحن من يقرأ التراث أم هو من يقرأنا؟.

الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> - فولنغانغ هاينه منه وديتر فيهيفرغر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر فالج بن شيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، دط، 1999، ص62.
- <sup>2</sup> - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص - مدخل إلى المفاهيم الأساسية وللمناهج-، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2010، ص32.
- <sup>3</sup> - آن روبول وجاك موشلاز: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغبوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003، ص31.
- <sup>4</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص41-43.
- <sup>5</sup> - جون لانجشو أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص09.
- <sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 187-188.
- <sup>7</sup> - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، تر سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر والمركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص 217-219.
- <sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 220-221.
- <sup>9</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 48.
- <sup>10</sup> - شاهر لحسن: السيماتيكية وعلم الدلالة، البراغماتية في علم اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ص57.
- <sup>11</sup> - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبيديع، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2003، ص24.
- <sup>12</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص55.
- <sup>13</sup> - المرجع نفسه، ص 56.
- <sup>14</sup> - المرجع نفسه، ص 56.
- <sup>15</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ص 383.
- <sup>16</sup> - دلائل الإعجاز، ص 384.
- <sup>17</sup> - دلائل الإعجاز، ص 312.
- <sup>18</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص96.
- <sup>19</sup> - انظر محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، 2003، ص81. وانظر: عبد الرحيم وهابي: القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني،

- ضمن كتاب البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ط1، 2014، ص135.
- <sup>20</sup> - محمد مشبال: بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، ص108.
- <sup>21</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص527.
- <sup>22</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص527.
- <sup>23</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص96-97.
- <sup>24</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص262.
- <sup>25</sup> - المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- <sup>26</sup> - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص81.
- <sup>27</sup> - خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص330.
- <sup>28</sup> - أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، حققه عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000، ص250.
- <sup>29</sup> - أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص245.
- <sup>30</sup> - خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ص331.
- <sup>31</sup> - المرجع نفسه، ص332.
- <sup>32</sup> - أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص333.
- <sup>33</sup> - المرجع نفسه، ص256.
- <sup>34</sup> - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.
- <sup>35</sup> - أ. مولز، ك. ريلتمان، ك. أوريكيوني: في التداولية المعاصرة والتواصل - فصول مختارة -، تر محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص136.
- <sup>36</sup> - عبد السلام بنعبد العالي: سياسة التراث - دراسة في أعمال محمد عابد الجابري -، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2011، ص8.
- قائمة المصادر والمراجع:
- المراجع العربية:
- (1) بنعبد العالي عبد السلام: سياسة التراث - دراسة في أعمال محمد عابد الجابري -، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2011.
- (2) الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني.
- (3) خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2001.
- (4) السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، حققه عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000.
- (5) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

- 6) العمري محمد: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، 2003.
- 7) القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2003.
- 8) لحسن شاهر: السيمانتيكية وعلم الدلالة، البراغماتية في علم اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1.
- 9) محمد مشبال: كتاب البلاغة والخطاب، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ط1، 2014.
- 10) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- المراجع المترجمة:
- 11) آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغبوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003.
- 12) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، تر سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر والمركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.
- 13) جون لانجشو أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010.
- 14) فولنغانغ هاينه منه وديتر فيمفيغر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر فالح بن شيب العجبي، مطابع جامعة الملك سعود، دط، 1999.
- 15) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص - مدخل إلى المفاهيم الأساسية وللمناهج-، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2010.
- 16) مولز، ك. ريلتمان، ك. أوريكيوني: في التداولية المعاصرة والتواصل - فصول مختارة-، تر محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.